الخيال وأثره في تشكيل الصورة في شعر ابن عثيمين (ت 1363هـ) قصيدة المدح أنموذجاً – دراسة وصفية تحليلية

د. هرمين سمير مصطفى البنا
رئيس قسم اللغة العربية ، الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب بظهران الجنوب، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية،
Email: halbanna@kku.edu.sa

الملخص

يأتي البحث في مجمله عن الشاعر السعودي ابن عثيمين و يتناول الخيال وأثره في تشكيل الصورة في شعر ابن عثيمين(ت 1363هـ) ، وقد استهل بالتعريف بالأدب العربي في المملكة العربية السعودية ، ومكانته بين الآداب واتجاهاته ، ثم فصل القول في البيئات المختلفة التي مر بها الأدب السعودي والإشارة إليها .

وبتأنٍ وقف البحث عند الشعراء المحدثين ؛ الذين على رأسهم يقف شامخاً الشاعر ابن عثيمين ؛ إذ يعتبر رائد هذه المدرسة الأدبية وله فيها مكانة لا تشابهها مكانة .

ثم أُفْرِدَ حيِّزٌ من البحث للتعريف بالشاعر الذي يُعَدُّ شاعرَ نجدٍ بلا منازع ، ثم تبيين أغراض الشعر التي طرقها خلال مسيرته الشعرية، منوهة بما أورده الباحثون حول الموازنة بينه وبين محمود سامي البارودي ، ثم الوقوف على مقتطفات من شعره بالتركيز على قصيدة المدح لديه، فهو يتميز بقوة لغته وثقافته اللغوية والتاريخية.

وكان لابن عثيمين شعر عامي إلى جانب الشعر الفصيح .

تلا ذلك العناية بعنصر الخيال لدى الشاعر، لا سيما قصيدة المدح الذي خصها البحث بالدراسة ؛ لما تجلى فيها من الصور الحية التي رسمها الشاعر ؛ بها تميزت قصيدة المدح عن غيرها من قصائده – وإن كانت أغلب الأغراض التي طرقها الشاعر بغرض المدح ، وستبين الباحثة لاحقاً تفضيل غرض المدح عن غيره من الأغراض .

هذا، وقد وقف البحث في الختام على الصور البيانية الخيالية وأثرها ودواعيها ومسبباتها ، وكيف اتخذها الشاعر سبيلاً لإعلاء القيمة الفنية والجمالية في قصيدة المدح ، ثم ختم البحث بنتائج وتوصيات توصلت إليها الباحثة.

الكلمات المفتاحية:

ابن عثيمين ، الصورة ، الخيال ،الشعر السعودي، المديح .

5

Imagination and its Role in Shaping the Imagery of Ben Othaymin's Poetry (1363 AH): A Descriptive and Analytical Study of *Madih* Poem

Dr. Haramain Sameer Mustafa Elbana
Head of Arabic Department and Assistant Professor of Arabic, Faculty of Science and Arts-South Dhahran, King Khaled University, KSA

Abstract:

The research comes in its entirety on the Saudi poet Ibn Uthaymeen and deals with the imagination and its effect on the praise poem of Ibn Uthaymeen (d.1363 AH). It began by introducing Arabic literature in the Kingdom of Saudi Arabia, and its position between literature and its trends, and then they separated a saying in the different environments that Saudi literature has gone through. And refer to it

Carefully stop the search for modern poets; On whose head stands the poet Ibn Uthaymeen standing tall. If the pioneer represents this literary school and has a stature in it that is not similar to it.

Then he devoted a space of research to define the poet, as he is a poet we find undisputed, then to explain the purposes of poetry that he used during his poetic career, noting what the researchers reported about the balance between him and Mahmoud Sami Al-Baroudi, then standing on excerpts from his poetry by focusing on the poem praising him, it is distinguished By the strength of his language, linguistic and historical culture. And Ibn Uthaymeen had colloquial poetry as well as eloquent poetry.

This was followed by attention to the poet's element of imagination, especially the praise poem that was singled out by the study. Because of the vivid images drawn by the poet, it was revealed. By it, the praise poem was distinguished from other poems - although most of the purposes that the poet approached were for the purpose of praise, and the researcher will later show the preference for the purpose of praise over other purposes.

In conclusion, the research focused on the types of literary fiction, its impact, reasons and causes, and how the poet took it as a way to raise the artistic and aesthetic value of the praise poem.

Then he concluded the research with the results and recommendations reached at the end of the research

Keywords:

Ibn Uthaimin, Image, imagination, Saudi poetry, praise.

مقدمة :

إن الأدب في مفهومه العام يستند إلى ركيزة نفسية قوية وينبي على أساس إنساني صادق ، يعبر فيه الشاعر عن مكنونات نفسه وإحساساته ، فيستخدم أدوات التعبير المختلفة مثل الخيال والعاطفة والوجدان ليتكئ عليها لإبراز الصورة الفنية للنص

والأدب السعودي – قد مر بمراحل مثله مثل كل الآداب في العصور المختلفة ، وقد التفتت الدراسات التي دارت حوله نحو الحركة الفكرية والتاريخ الأدبي .

والشعر في المملكة العربية السعودية جدير بالتقييم والتحليل والنقد والموازنة للتعرف على خصائصه الفنية ، ومن الطبيعي أن يكون للدولة السعودية– أثناء مراحل تأسيسها– شعراء ينطقون باسمها ويدافعون عنها ويواكبون انتصاراتها، وقد كان أعظم شعرائها في تلك المرحلة ابن عثيمين ، فكان لسان حال تلك المرحلة بكل تفاعلاتها ،وقد شغف الشاعر بيئته المحلية فسطر بالشعر البطولات والأمجاد ، ومدح الملك عبد العزيز الذي ذاعت شهرته وانتصاراته أرجاء شبه الجزيرة العربية.

ولما ضعف الشعر في الجزيرة العربية لعوامل متعددة ، قيض الله الشاعر ابن عثيمين[1] للنهوض بالشعر في جزيرة العرب ولاسيما فى نجد ، فعاد للشعر سموه ورونقه الأصيل ، والشاعر ابن عثيمين ولد عام 1270 هـ ، ونشأ عند أخواله وتلقى مبادئ القراءة والكتابة في كُتّاب بلدته ، ثمَّ أدرك شيئاً من علمي التوحيد والفقه ، كما درس على بعض علماء نجد، ومنهم الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ، ثم على أحمد الرجباني ، وأفاد من قراءته الواسعة وحفظه للشعر العربي والإلمام بالكثير من أخبار العرب وتراثهم في الجاهلية والإسلام ، وعمل في تجارة اللؤلؤ ، ووجه شعره لقضايا المملكة وما يستجد بها من أحداث ، وقد تمت الموازنة بينه وبين البارودي الذي نهض بالشعر في مصر، ومن الثابت أن ابن عثيمين قد حاكى عصور ازدهار الشعر العربي كالعصر الجاهلي والعباسي ؛ وذلك لثقافته وعلمه الغزير واطلاعه الواسع على كتب الأدب وكتب اللغة والمعاجم ، وله ديوان شعر اسمه " العقد الثمين من شعر ابن عثيمين " طبع سنة 1980م .

[1] الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين انظر : الاعلام ، خير الدين الزركلى ، ج السابع ، ص 124 ، د. ت ، ط. 3 .

يمثل ابن عثيمين المرحلة المحافظة في مسيرة الشعر السعودي المعاصر، ويكاد يكون غرة جبين الاتجاه المحافظ ، وقد نهج الشاعر نهج الشعراء القدامى في بناء أغلب قصائده . والمتأمل لعناصر التشكيل والصياغة عنده يجده يعتمد في تشكيله لصوره على التشبيه ، الذي يعبر فيه عن صميم البيئة التي عاشها .فقد نهل من تراث الأدب العربي، واقتبس من القرآن والأحاديث وعف لسانه عن فاحش القول . وتجلت النزعة الإسلامية في اختياره لمفردات بعض قصائده ، وكان يضع لمعظم قصائده مقدمات نثرية ليبين الغرض منها ومناسبتها .

واللافت في إنتاج ابن عثيمين الشعري أن بعض شروحه لقصائده أقرب إلى الدراسات الأدبية المتعمقة التي تدل على سعة اطلاعه ، وقد سار فيها على نهج مؤلفي كتب الأدب القدامى مثل ابن قتيبة والمبرد والأصفهاني .

وبتسليط الضوء على الخيال الذي يعلي من قيمة الصورة في شعر ابن عثيمين ، فقد اعتمد عليه ، وكان أداة مسيطرة عليه زين به جميع قصائد المدح لديه، ومن الشخصيات المهمة التي تناولها الشاعر بالمدح وركز البحث عليها شخصية " الملك عبد العزيز لما أنجزه من انتصارات على المستوي العسكري والسياسي "1 ،وتبرز قدرة ابن عثيمين الفنية في ديوانه من خلال التلاؤم بين استخدامه للألفاظ والمعاني والصور في صور مجازية توجها الخيال ، وما انفك يستخدمه في شتى أغراضه الشعرية معتمدا على التشبيهات مرة والاستعارات التشخيصية مرة أخري؛ وغيرها من ألوان البيان التي تبرز فنية القصيدة وتعبر عن انفعالاته ومقومات الملكة الخيالية لديه .

أما لبُّ العمل الفني كله فقد كان " الخيال؛ أي مادته وموضوعه من الطبيعة " 2 وبعد " استخدامه هو الخاصية المميزة للأعمال الأدبية "3، لأنه " عنصر الإثارة في العمل الأدبي "4 ؛ إذ

[1] د. محمد صالح الشنطي : في الأدب العربي السعودي "فنونه واتجاهاته ونماذج منه "، دار الأندلس للنشر والتوزيع ،ط2، 1418-1997م ، ص 35.
[2] د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1997م ، ص 413.
[3] د. صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي مؤسسة مختار للنشر والتوزيع القاهرة ، ط 1992 م ، ص 81 .
[4] حسن جاد حسن : على هامش النقد الأدبي ، 1978م ، دط ، ص 35 .

"يضفى على الحقيقة أزياء براقة، ويلونها بالألوان والأصباغ الفنية فتثير المشاعر وتبهر الإحساس "[1] ، وقد اتخذ الشاعر من الخيال طريقاً للصعود إلى منزلة الممدوح ، فهو يكاد يكون شاعر الملك عبد العزيز الأول ، وقد استعان بالتشبيه ، والمقابلة بين البأس والكرم والغيث والليث والنفع والضرر ، فقد مزج بوجدانه الدافق بين تشخيص المعنويات والحسيات، ولولا الخيال لما استطاع الشاعر أن يصل إلى هذه المرتبة الرائعة من القول ، ويمثل ذلك قوله في المدح :

ملــك تجســد مــن بــأسٍ ومــن كــرم كالغيــث والليــث فــي نفــع وفــى ضــرر[2]

أما أسباب اختيار الموضوع، فيمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- إثراء المكتبة الأدبية السعودية بالنتاج الأدبي للشاعر ابن عثيمين .
- ابن عثيمين شاعر جدير بالدراسة والبحث فهو من شعراء إحياء التراث .
- الوقوف على الخيال وأثره وتأثيره في إثراء التجربة الشعرية للشاعر.
- قصيدة المدح عنده أبرزت مظاهر الطبيعة والقيم الاجتماعية .
- طغى غرض المدح عنده على بقية الأغراض مما عزز دور الخيال في ديوانه.
- الإسهام في إبراز مفردات الأدب السعودي ومناهجه في الجامعات والمعاهد العليا .
- الاستفادة من آراء الباحثين والمحققين في الأدب السعودي .
- عرض نماذج من شعر ابن عثيمين والوقوف على نماذج أخرى غير المدح.
- كثرة عناصر الخيال في قصائده، يعد قضية جديرة بالبحث والتنقيب والاهتمام .

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا الموضوع في الآتي :

- الخيال من الأغراض البيانية التي تبرز شخصية الشاعر بين الأدباء .
- ارتباط المدح بالخيال والمعجم الشعري للشاعر،و بالتراث السعودي .

[1] حسن جاد حسن : على هامش النقد الأدبي ، 1978م ، دط ، ص 35.
[2] ديوان العقد الثمين : ص 348.

- تجلي أثر الصور البيانية في قصائد المدح يعلي من الحس الأدبي لدى الشاعر .
- المديح يعد من أهم و أكثر الأغراض الشعرية التصاقاً بشعره .

أهداف البحث :

يهدف البحث، إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- الوقوف على السمات الأدبية والفنية للشاعر وتحليلها .
- إيجاد علاقة بين البناء الشعري والخيال عند ابن عثيمين.
- الإفادة من الدراسات الأدبية والنقدية في قصيدة المدح .
- توظيف درجات الخيال لدى الشاعر في قصيدة المدح .

الدراسات السابقة :

الدراسات السابقة التي رجعت إليها – في حدود ما قرأت– لم تقف عند(الخيال وأثره في قصيده المدح لدى ابن عثيمين) وقد أشارت العديد من الدراسات إلى الجانب التاريخي لشعر الجزيرة العربية ، منها

- رسالة دكتوراه للمؤلف : عبد العزيز بن إبراهيم الفريح ، بعنوان:(ابن عثيمين رائد الشعر الحر في نجد)[1]
- دراسة السيد أحمد أبو الفضل عوض الله ، بعنوان :(محمد بن عثيمين : شاعر الملك عبد العزيز)
- دراسة د. عبد العزيز الخويطر، بعنوان :(قراءة في ديوان الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين)
- دراسة أ. د محمد بن سعد بن حسن ، بعنوان :(الشاعر الكبير محمد بن عبد الله بن عثيمين: شعره ونثره)

[1] ابن عثيمين رائد الشعر الحديث في نجد، عبد العزيز الفريح، رسالة دكنوراه غي منشوره، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1379هـ/1977م.

- دراسة محمود محمد بركاته1 ، بعنوان : (شعر ابن عثيمين ، دراسة في الشكل والمضمون)

حدود البحث :

اقتصرت الدراسة على قصيدة المدح في ديوان :(العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين)

منهج البحث :

اقتضت طبيعة البحث استخدام المنهج الوصفي التحليلي النقدي .

خطة البحث :

اشتمل البحث على: **مقدمة**، تضمنت التعريف بالبحث، والإطار العام له.

تمهيد : وفيه تعريف بالشاعر.

المبحث الأول: تحديد المفهوم : الخيال – مصادره – صوره .

المبحث الثاني: الخيال ونموذج المدح .

ونعرج إلى الخاتمة وثبت المصادر والمراجع والنتائج والتوصيات في نهاية البحث.

تمهيد :التعريف بالشاعر .

ابن عثيمين شاعر نجدي أدرك بضع عشرة سنة من قيام المملكة العربية السعودية، ولد في بلدة السُّلَمِيّة بالخرج جنوب الرياض، ونشأ فيها يتيمًا عند أخواله، وتلقّى القرآن الكريم وعلوم الدين على طريقة أهل زمانه في حلق العلم في المساجد، وارتحل يطلب العلم على أيدي عدد من علماء عصره في عدد من البلدان.

رحل ابن عثيمين في طلب العطاء، ومدح أمراء البحرين وقطر، وحظي عندهم، ثم قدم إلى الملك عبدالعزيز آل سعود الذي كان قد بدأ توطيد قواعد مملكته، فمدحه بقصائد جيدة كثيرة، ونال عنده مكانة كبيرة.2

[1] دراسة في المضمون والشكل، محمود محمد بركات، دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985م

[2] انظر الأدب الحديث في نجد ، محمد بن سعد بن حسين ، تحقيق وتعليق عبد السلام سرحان ، د. ت ، مطبعة الفجالة ، مصر ، ط1 ، ص 33.

أكبّ ابن عثيمين على دراسة الشعر العربي في عصوره الزاهرة، وحفظ منه كثيرًا، فظهر أثره في شعره، وعارض كثيرًا من قصائد الفحول الجاهليين والأمويين والعباسيين، واتّسمت لغته بالجزالة التي تصل أحيانًا إلى حدّ الغرابة؛ وذلك لأنه بثَقِف ثقافة لغوية واسعة، أمدّتها ذاكرة قوية، وقدرة على الاحتذاء، وسليقة صافية، وقد شرح هو قصيدته النونية في مدح الملك عبدالعزيز، فنمّ شرحه على تلك الثقافة اللغوية والتاريخية التي انعكست في شعره من كثرة اطلاعه على كتب اللغة والأخبار وأيام العرب وتاريخهم، وله شعر ملحون (عامي) إلى جانب شعره الفصيح. وقد اعتزل قول الشعر في آخر حياته، وانقطع للعبادة،" وتدل جزالة لفظه على ثروته المعجمية ، وثقافته المتمكنة وامتلاكه لناصية اللغة ومفرداتها وإكثاره من الاقتباس من القرآن والحديث "1 وقد شُهد له " بتبحره في علوم الدين " .2 يعدّ ابن عثيمين باعث الشعر الفصيح في نجد، وهو أحد من أعادوا ذلك الشعر إلى الصدارة بعد أن ضعف زمنًا طويلًا في قلب الجزيرة العربية، وانزوى في منظومات علمية نثرية، أو في عبث لفظي، ولو قُدر له أن يواكب حركة الاتصال بالآداب العربية الناهضة حينذاك، وما علق بها من مؤثرات أجنبية لكان له شأن آخر.

وقد التفت كثير من الباحثين إلى أن " ما أنجزه ابن عثيمين من إعادة الوهج إلى الشعر الفصيح، وتخليصه من قيود البديع والصنعة والتكلف، يشبه شبهًا كبيرًا ما أنجزه البارودي في مصر، وهذا ما أكده قاموس العديد من الكتب التى تناولت بالبحث الشاعر ابن عثيمن " .3

---

[1] انظر : الصورة البيانية في العقد الثمين في شعر محمد بن عثيمين ،ص 13 .

[2] انظر: حركات التجديد في الشعر السعودى المعاصر ، د. عثمان الصالح العلمى الصيوينع ، د. د، ط 1 ، 1987 ، الجزاء الأول ص 184،185 .

[3] انظر : قاموس الأدب والادباء فى المملكة العربية السعودية فقد ورد به الكتب التإلية :

- ابن عثيمين رائد الشعر الحديث في نجد، عبدالعزيز الفريح، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1397هـ (1977م).
- اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، حسن بن فهد الهويمل، الطبعة الأولى، بريدة، نادي القصيم الأدبي، 1404هـ.
- الأدب الحديث في نجد، محمد بن سعد بن حسين، الطبعة الأولى، القاهرة، المؤلف، 1971م.
- التنازع على الشعراء في الخليج والجزيرة، عبدالرزاق حسين، الطبعة الأولى، عمّان، دار البشير، 1406هـ (1985م).
- شعر ابن عُثيمين، دراسة في المضمون والشكل، محمود محمد بركات، الطبعة الأولى، الكويت، دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، 1405هـ (1985م).
- الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، عبدالله الحامد، الطبعة الأولى، الرياض، المؤلف، 1402هـ (1981م).

وقد جمع سعد بن رويشد ما وجده من شعر ابن عثيمين في ديوان سماه (العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين)1، وضم قصائده التي أنشأها بين سنتي 1320 و1355هـ، ولم يشر جامع الديوان إلى ما قاله من شعر قبل ذلك، وقد نُقِل أن ابن عثيمين مزّق بعض شعره الغزلي، وفي بعض قصائده ما يوحي باستنكافه من الغزل، على الرغم من أنه يعد من براعة المطالع الشعرية الاستهلالية عند العرب.

وقد جعل ابن رويشد الديوان سبعة أقسام، فالأقسام الأربعة الأولى تحوي ما قاله في المديح (في الملك عبدالعزيز؛ وفي الملك سعود (وكان وليًا للعهد)، وفي حاكم البحرين وفي حاكم قطر)، وفيه سبع وثلاثون قصيدة، والقسم الخامس في المتفرقات ،لا يحوي سوى قصيدة واحدة، والقسم السادس في المراثي، وتضمن سبع قصائد، وأضاف في القسم الأخير ثلاث قصائد جديدة.

وعُني جامع الديوان بإثبات المقدمات النثرية التي كتبها ابن عثيمين، كما شرح الغريب من الألفاظ، ووضع لكل قصيدة عنوانًا مستمَدًّا من مطلعها، وأشار إلى تاريخ نظمها.

كُرّم ابن عثيمين في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول المنعقد بمكة المكرمة سنة 1394هـ (1974م)، ضمن من كُرِّم من الأدباء المتَوَفَّيْن، وأُنجِزت عن شعره بضع رسائل علمية ، وهى في ديوانه: العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين، القاهرة، 1375هـ (1955م).

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين والمحللين اقتصروا على دراسة ابن عثيمين في إطار إقليمي ضمن بلدان الجزيرة العربية ولكن العديد تناولوه بالإطراء كالأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين في كتابه :" الأدب الحديث في نجد " والأستاذ الدكتور عبد الله الحامد في كتابه :" الشعر في

- شعراء نجد المعاصرون، عبدالله بن إدريس، الطبعة الثانية، الرياض، النادي الأدبي بالرياض، 1423هـ (2002م).
- قراءة في ديوان الشعر السعودي، يوسف حسن نوفل، الطبعة الأولى، الرياض، النادي الأدبي بالرياض، 1401هـ (1981م).
- معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية، الدائرة للإعلام، الطبعة الثانية، الرياض، الدائرة للإعلام، 1413هـ (1993م)
- معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية، علي جواد الطاهر، الطبعة الثانية، الرياض، دار إلىمامة، 1418هـ (1997م)

[1] انظر : العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ، جمعه وحققه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد ، راجعه وصححه وأعد معجمه وفهارسه السيد أحمد ابو الفضل عوض الله ، دار الشبل ، الرياض ، 1430 هـ ، ط 4 ، ص 17.

الجزيرة العربية خلال القرنيى 1150هـ– 1350هـ " وغيرهما ، فالحقُّ أن ابن عثيمين يفوق غيره من معاصريه لما اشتمل عليه شعره من مظاهر الجزالة في الأسلوب ؛ إذ كان يصدر في حياته عن واقع حقيقي بيئي ظاهر، مما أهله لمشابهة الأوائل من الشعراء ولاسيما في تناولهم الشعري وتعبيرهم عن واقع بيئتهم ومجتمعهم .

ومما لا شك فيه أن ابن عثيمين يتصف بالبراعة الشعرية والقدرة على التناول ورقة الأسلوب؛ مما جعل النقاد والأدباء يعقدون موازنة بينه وبين البارودي؛ فالبارودي " أثبت بما أعطى من ملكات وما وهب من ذكاء وقدرة على الاستظهار وما تأتى له من إتقان في القول والنظم أن يقدم قصائد مؤكدا بها إحياء الشعر وابتعاثه من رقاده " 1، ومثله ابن عثيمين الذى يمثل في الشعر السعودي مدرسة الإحياء والبعث ، كما يمثل البارودي هذا الاتجاه في الشعر العربي بعامة والشعر المصري بشكل خاص مع التباين بين الشاعرين ، وظل " ابن عثيمين علماً على تلك المرحلة– الإحيائية – كما كان البارودي في مصر على اختلاف المشارب والأهواء والتكوين النفسي والثقافي بينهما"2 .

وقد أشار سعد بن عبد العزيز ابن رويشد جامع ديوان ابن عثيمين والذي سماه : (العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين)، إلى أن هذا الشاعر كان في عهده شاعر نجد على الإطلاق وكانت منزلته بين الأدباء لا تساميها منزلة ، وقد حوى الديوان قصائده المنظومة بين عامي 1320–1355هـ.

أما أغراضه الشعرية التي أضاء بها الساحة الأدبية السعودية وحواها ديوانه فيغلب على معظمها المدح ، وقد قسم ديوانه إلى ستة أقسام، أولها : في مدح الملك عبد العزيز آل سعود' فقد لازمه ومدحه ، وأشهر قصائده هى التي مدحه بها وقد احتذى فيها أبا تمام – بعد فتح الأحساء ومطلعها :

العـز والمجـد فـي الهنديـة القضـب لا فـي الرسـائل والتنميـق للخطـب

[1] د. ابراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، دار المسيرة ، عمان ، ط 3 ، 1430 ه ، 2010 م ، ص 63 .
[2] د. محمد صالح الشنطي : في الأدب العربي السعودي "فنونه واتجاهاته ونماذج منه "، دار الأندلس للنشر والتوزيع ،ط2، 1418-1997م ، ص 36.

تقضى المواضي فيمضى حكمها أمماً إن خالج الشك رأي الحاذق الأرب[1]

أما القسم الثاني من الديوان فقد كان في مديح الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ، والناظر للقسم الثالث والقسم الرابع يجد أنه كان في مدح الأمراء أيضا ، واحتوى الخامسُ على موضوعات عامة وأغراض شعرية مختلفة ، بينما اشتمل القسم السادس من الديوان على عددٍ من المراثي.

وجدير بالذكر أن ابن عثيمين قد امتدت حياته حتى بلغ من العمر مائة سنة أويزيد، متمتعا بصحته العقلية ، وكان فقيرا نذر حياته لعلوم الشرع ، وله باع طويل في الأنساب ، ومن أجود الأبيات التي تعبر عن تجربة الشاعر حين استطاع بالخيال أن" يجسم التجربة، وأن يتصور في وضوح أحداثها، وكانت مشاعره من القوة والتحفز بحيث تستجيب لخياله إحساسنا في أدبه بما نسميه الصدق"2 ، ويمثل ذلك قول ابن عثيمين :

غر مكارمهم حمر صوارمهم خضر مراتعهم للفضل تيجان

لكن أوراهم زنداً وأسمحهم كفاً وأشجعهم إن جال أقران [3]

وقد اتخذ ابن عثيمين من صفة الكرم مُدخلاً للمدح ، حيث كنى هنا عن كرمهم وجودهم ، ووصفهم بأنهم غر المكارم ، وجاءت الصورة هنا ملائمة للغرض في " حمر صوارمهم " ، وقد مزج الشاعر بين الصورة الحسية والمعنوية ؛ أي الفضائل المعنوية للممدوح والبعد الحسي للصورة . ومما لا شك فيه أن الشاعر قد اعتمد على الخيال في هذا النص ، وهذا هو أسلوبه وطريقته في شتى قصائده ، لا سيما قصائد المدح .

فالخيال يعد من العناصر التي يعبر بها الأديب عما يحس به بدافع الأناقة في القول والخلابة في الأسلوب، ومنه المجاز والاستعارة والتشبيه، وغيرها من فنون التعبير.

[1] العقد الثمين : ص 37.
[2] د. محمد مندور : الأدب ومذاهبه ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 9 ، 2010م ،ص 15،16.
[3] العقد الثمين : ص 53.

المبحث الأول

تحديد المفهوم : الخيال - مصادره – صوره.

فطر الإنسان على متعة الخيال وجعلها إحدي وسائله للإبداع في الفن وغير الفن ، وقد تعددت تعريفات الخيال بين التعريف اللغوي والاصطلاحي والأدبي ؛ وتعريف الخيال لغة هو : "خالَ الشيءَ يَخالُ خَيْلاً وخِيلة وخَيْلة وخالاً وخِيَلاً وخَيَلاناً ومَخالة ومَخِيلة وخَيْلُولة: ظَنَّه، وفي المثل: من يَسْمَعْ يَخَلْ أَي يظن، وهو من باب ظننت وأَخواتها التي تدخل على الابتداء والخبر، وخَيَّل فيه الخير وتَخَيَّله: ظَنَّه وتفرَّسه. وخَيَّل عليه: شَبَّه. وأَخالَ الشيءُ: اشتبه. يقال: هذا الأَمر لا يُخِيل على أَحد أَي لا يُشْكِل. وشيءٌ مُخِيل أَي مُشْكِل". [1]

والخيال في معجم التعريفات معناه :" هو قوة تحتفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها ، فهو خزانة للحس المشترك، ومحله مؤخر البطن الأول من الدماغ "[2]

والخَيالُ لغة أيضاً هو: " ما تشبه لك في اليقظة و الحلم من صورة ، ج : أخيلة"[3]، وهو عبارة عن" اختلاق الصور ؛ حيث تكون أجزاء هذه الصور مما جرده العقل وتم حفظه بالذاكرة ومن هذا نستطيع القول : إن الخيال هو مصدر التخيل من الشاعر عن طريق التأليف والتركيب" [4] ؛فالشاعر يحتاج إلى التخيل لأنه لا يستطيع أن يعبر مباشرة كما يفعل العلماء ، بل يلجأ إلى التعبير التصويري.

---

[1] أحمد رضا : معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة بيروت ، 1958 م ، مادة خيل ، خ ، ي ، ل ص 99 .

[2] انظر معجم التعريفات : للعلامة على بن محمد السيد الشريف الجرجانى ،قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقة واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة ،تحقيق ودراسة : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، 2004م ، رقم المصطلح 835، ص 90.

[3] المعجم الوسيط : تأليف العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي "المتوفى سنة 817هـ " تحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ،ط6، 1989م مادة خيل ص 996.

[4] عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 105.

أما الخيال اصطلاحًا فهو: " قوة تحتفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة بحيث يشاهدها الحس المشترك كلما التفت إليها ، فهو خزانة"[1] " والخيال هو الدافع ،و هو حديث معقد له عناصر مختلفة كثيرة ،وليست الصورة هي الأفكار ؛ إذ الأفكار للأشياء المجردة العامة والصور للأشياء المحسوسة الخاصة ، وقد كانت الأفكار كانت تفهم في الأصل من صور حسية ثم تجردت من حسيتها بعد طول استعمال"[2]

والخيال الأدبي يعد أحد العناصر الرئيسة داخل العمل الإبداعي في الفنون الأدبية ، سواء أكانت شعراً أم قصة أم رواية أم مسرحية . ولما كان الخيال ملكة إبداعية تميزت به عناصر النص الأدبي ؛ صار ركيزة أساسية مع غيره من أركان النص الأدبي: الفكرة والعاطفة والأسلوب، و لابد في الصور الخيالية سواء أكانت صور جزئية ؛ كالاستعارة والتشبيه أم صورا كلية ،لابد من صلة بين طرفيها كتشابه أو انتماء الجزء للكل أو المجاورة .

ومما استوقفني في الشعر العربي بيت الوأواء الدمشقي المشهور :

وأمطـرت لؤلـؤاً مـن نـرجس وسـقت وردا وعضـت علـى العنـاب بـالبرد

هذا البيت امتدحه أبو هلال العسكري في الصناعتين وديوان المعاني ، وأبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر ، بأن خيال الشاعر قد " حدا به أن يركب البيت في خمسة تشبيهات: "تشبيه الدمع باللؤلؤ، والعين بالنرجس، والجد بالورد، والأنامل بالعناب لما فيهن من الخضاب ،والثغر بالبرد "[3]

وقد التفت غير واحد من الباحثين إلى أنواع الخيال حيث إن للخيال أنواعاً متعددة تمد الأديب بأسباب الحياة وتعطيه حظه من الحيوية ، فمنهم من يراه خيالاً أوليّاً وخيالاً ثانوياً [4] ومنهم من يقسمه

---

[1] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ، قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والعروض والبلاغة ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ،دار الفضيلة ، ص 90.

[2] انظر د. محمد غنيمي هلال : المدخل إلى النقد الأدبي الحديث ، ص 90 ، و389 ، ود. مصطفى ناصف : الصورة الأدبية ، ص 16 ، 17، 18.

[3] ابو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل ، الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق على محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، ص 301.

[4] انظر د. محمد زكى العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، 1979م ، ص 65و67و68.

إلى ثلاث: "1الخيال الابتكاري وهو الذي يخلق صورة تركيبية جديدة لا وجود لها في عالم الواقع ومنها الخيال التإلىفي ، " وهو أقرب ما يكون إلى التداعي النفسي والترابط الوجداني "2، ومنها الخيال التفسيري أو الخيال البياني ، وهو الذي " يقف أمام المثير الحسي فيخلع عليه من وجدانياته ومشاعره صفات توضحه للنفوس "3 ، ومن ثم نستطيع وصف العمل الفني بأنه " يكون مجاله الخيال؛ أي أن مادته وموضوعه من الطبيعة" 4 وأن" استخدامه هو الخاصية المميزة للأعمال الأدبية" 5؛ إذ لابد " أن يحتوى مجال الفنون والآداب شيئا من الخيال "6"،وهو أساس الصورة الأدبية "7

وتكمن " براعة الشاعر أو الأديب في قدرته على الربط بين الأشياء المتباينة ،ونقل المشاعر من مجرد معانٍ هائمة في نفسه إلى أشياء مدركة "8 ومن ذلك قول ابن عثيمين في المدح :

نظَـــروا لَيثـــاً وبـــدراً طالعـــاً وبنانـــاً بِالعطـــا وطفـــا تســـح[9]

يدل هذا البيت على تمكن الشاعر من اللغة حيث يتميز شعره بالجزالة والرصانة ، فضلاً عن القوة ، ومما يعزز صدق الخيال أن" الأديب يتخذ من تجاربه الفعلية في الحياة مادة لأدبه ، فهو أيضا كثيرا ما يتخذ الأدب وسيلة لادخار طاقته ، فالتجارب التي لا تمكنه ظروف الحياة من أن يعيشها نراه من أجل يشبع هذه الرغبة يتخذ الأدب وسيلة لكى يعيشها بالخيال ، والشاعر الذي لا تواتيه فرصة لكي يعشق ويحس العشق قد يستطيع بخياله أن يعيش هذه التجربة ، وهنا قد نحس بمعنى الصدق والكذب ، ولكنه في الواقع ليس صدقاً ولا كذباً ،إنما هو ضعف أو قوة في الخيال ، وشدة ارتباط أو تراخٍ بين الخيال والمشاعر.

---

[1] عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة االتأليف، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 188.
[2] عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 191.
[3] عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص ،195، 196.
[4] د.محمد غيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص 413.
[5] د. صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1992م ، ص 81.
[6] محمد الجزار : الفكر الإنساني مركز الكتاب للنشر ، ط1 ، 1426هـ 2006م ، ص 52.
[7] أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، مكتبة نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، ط10 ، 1999م ، ص 243.
[8] محمد زغلول سلام : النقد العربي الحديث ، ص 12.
[9] العقد الثمين : ص 230

فبواسطة قوة الخيال " تستطيع صورة معينة أو إحساس معين واحد أن يهيمن على عدة صور وأحاسيس يحقق فيما بينها وحدة أشبه بالصهر ، وهذه الوحدة التي تحققها قوة الخيال إنما تشبه الوحدة التي تخلقها الطبيعة ذاتها ، عندما تشاهد أحد مناظرها تشعر بوحدة هذا المنظر ، فالخيال يذوب ويتلاشي ويتحطم، ليخلق من جديد "[1] وقد تنطبق هذه الحقيقة على قول شاعرنا في خلق صورة جديدة جديدة في قوله حينما مدَحَ الملك عبد العزيز :

فَأسقَيتهم سماً زعافاً يشوبه بِأفواههِم بِالَموت صاب وعلقَم[2]

في هذا البيت قام ابن عثيمين بتوظيف الخيال متمثلاً في التشبيه و الكناية لخدمة المعنى ، حيث شبه قتل الملك عبد العزيز الأعداء والقضاء عليهم بسقى السم الذي يقتل في حينه ، فاعتمد على الشكل الحسي ، فالممدوح يجيد فن القتال بإتقان، فسار القتل شيئاً سهل الشراب ، يمتزج طعمه بالمرارة؛ فيؤكد النهاية القاسية للأعداء ، وجاءت الكناية في لفظتى صاب وعلقم .

ويمكن أن " يعبر الشاعر تعبيرا رزيناً عن فكرته،و تساعده غلبة الخيال وروعة التصوير على إبراز المعنى "[3] ،ومن الأبيات التي مثلت التناغم بين العاطفة والخيال قوله:

المُنعمين بِلا من ولا كَدرٍ والحاكمين بِلا جورٍ ولا ميلِ[4]

يصف الشاعر الممدوح بالعطاء بلا حدود وبلا تكلف وبلا منٍّ ولا كدر ، فيجمع بين صفة الجود والكرم وصفة العدل .

وعندما طاب له أن يصور " العاطفة بالخيال تصويرا جميلاً تبدو فيه شخصيه الشاعر " المتعلقة بالتراث والبيئة الشعبية[5] ، فقد قال :

[1] سالم عبد الرازق سليمان المصري : شعر التصوف في الأندلس ، ص 44.
[2] العقد الثمين :ص 162.
[3] عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 88.
[4] العقد الثمين : ص 318.
[5] عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 111.

علـــى ضـــمرٍ بـــين الوجيـــه ولاحـــقٍ تعـــارِض مـــا أَبقـــى الَجـــديلُ وشـــدقَم[1]

يعمد الشاعر هنا إلى البيئة والتراث في وصف خيل الممدوح ، فقد وجه الشاعر المدح للممدوح عندما وظف الكناية ووصف خيل الممدوح القوية الأصيلة حيث لا يركب الملك إلا الخيل السريعة .

وتتمثل قوة الأديب الفنية " من حيث براعة الخيال وحسن الموسيقا ، وبراعته في التصوير وحسن انتعاشه للألفاظ والعبارات التى تعطي للموضوع طابعا يحقق اللذة والاستمتاع إلى جانب ما تحققه الفكرة من تهذيب وإرشاد"2 ، ذلك الأدب هو مصور للأخلاق وهو ما نجده من خلال قصيدة المدح في قول ابن عثيمين :

الله أعلـــى ســـعوداً فـــي ســـعادته فَكانَ أشهر مـــن نـــارٍ علـــى علـــمِ[3]

ونلاحظ أن أسإلوب ابن عثيمين في المدح قد تعددت في لغة المخاطب ؛ وذلك لأن " أثر الأسلوب على المتلقي ؛ قد يكون إمتاعا أو إقناعا أو شد انتباه أو إثارة خيال "4 ، وقد استحق الشاعر بجدارة أن يكون شاعر الملك عبد العزيز الأول حين قال :

العـز والمجـد فـي الهنديـة القضـب لا فـــي الرســـائل والتنميـــق للخطـــب

تقضـى المواضـي فيمضـى حكمهـا أممـاً إن خـــالج الشـــك رأي الحـــاذق الأرب

ليـث الليـوث أخـو الهيجـاء مسـعرها الســـيد المنجـــب ابـــن الســـادة النجـــب

[1] العقد الثمين : ص 164.
[2] عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 171.
[3] العقد الثمين : ص 352.
[4] د. أمال يوسف سيد يوسف : علم الأسلوب ، مكتبة المتنبي ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، ص 15 .

عبـــدالعزيز الـــذي ذلـــت لســـطوته شـوس الجبـابر مـن عجـم ومـن عـرب[1]

وجاء المدح هنا معتمدا على الصفات المعنوية لدى الممدوح ، وقد أبدع الشاعر في رصد صفات الممدوح المعنوية وقدم رجاحة الرأي والإشادة بالخبرة والسطوة والحكمة .

وفى موضع آخر ينطلق الشاعر من مدح الملك عبد العزيز في فتح الأحساء وقد عارض في المطلع الشاعر الكبير أبا تمام وحاكاه في قصيدة " فتح عمورية "، بقوله :

السـيف أصـدق أنبـاء مـن الكتـب في حده الحد بين الجد واللعب[2]

وبنظرة متأنية حول البيتين نلاحظ أنهما " على نمط البحر والقافية، ونظمت في الغرض نفسه ، وقد تأثر الشاعر بأبى تمام في بعض المضامين ، ومهما يكن من أمر فإن هذه المعارضة تتميز بقربها الشديد من حيث المناسبة والمضمون ، فالروح الإسلامية الوثابة فرضتها طبيعة الفتح والحافز في كلتيهما حافز دينى ، كما أن شخصيتى الممدوحين متقاربه " 3 ،والمديح يعد أهم الأغراض التي تتجلى فيها خصائص أبي تمام وهو في كثير منه لا يحتفظ بالمقدمة الطللية مودعا فيها كثيرا من لفتاته وخواطره النادرة التي تدل على سعه خياله " 4ويشابهه ابن عثيمن عندما أراد أن يعبر بالشعر عن الحكمة في تصرفات الملك عبد العزيز في تحقيق النصر والاستقرار ، فالحكم للسيوف وليس للخطب.

وقد أشار غير واحد من الباحثين إلى معارضة ابن عثيمين لأبى تمام بقوله : " فهي صورة تكاد تكون معارضة لقصيدة أبي تمام ... والفرق الوحيد بين القصيدتين أن ابن عثيمين محا اسم المعتصم وأحل محله " عبد العزيز" ، وحذف كلمة " الخليفة " ووضع مكانها " الإمام " ، وغير اسم

[1] العقد الثمين : ص 37

[2] ديوان أبى تمام ، شرح وتعليق الدكتور شاهين عطية ، مراجعة بولس الموصلى ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبنانى ، اللعازارية ، بيروت ، ط 1 ن 1986 م .

[3] د. محمد صالح الشنطى ، في الادب العربي السعودى دار الاندلس للنشر والتوزيع ، 1417هـ ، ص 87.،86.

[4] د. شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى العصر العباسى الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 17 ، 279 .

المعركة " عمورية " وجعل بدلها " الأحساء والرياض" ثم أبقى كل شيء كما كان بحراً ، ووزناً ، وتعابير ، وشكل أداء " 1

والخيال أيضا هو " القوة التي تنفث في الأدب الحياة والحركة ، وتمده بالصور الوفيرة المجسمة لإحساس الأديب ومشاعره وهى التي تساعدنا على الإحساس بالتجربة الأديبة التي مر بها الفنان المصور "2، وقد جسد ذلك ابن عثيمين عندما ربط بينه وبين البيئة في قوله :

أقـــول للعـــيس إذا تلـــوى ذفاريهـــا للإلفهـــا ولهـــا فـــي الـــدو تحنـــان

ردى مياهـــا مـــن المعـــروف طاميـــة نباتهـــا التبـــر لا شـــيح وســـعدان [3]

هنا مرة أخري يستعين ابن عثيمين بالبيئة في رسم ملامح الكرم والجود والإحسان للملك حيث يجعل الناس يقصدون موارد الملك وعطاياه ، وتعد البيئة هي إحدي مرتكزات الخيال عند الشاعر، بالإضافة إلى الأدوات الفطرية والمكتسبة ، "ويجيء الخيال في مقدمة المواهب الفطرية ويؤدى دورا جوهريا في الإبداع أياً كان لونه ، فهو الذى يعطى الأفكار المبهمة الشكل والكثافة التى تكون البذرة الأولى للعمل الفنى ، وبقدر ما يكون الخيال حرا ومنطلقا في مجال الممارسة يجيء نتاج الفنان أصيلاً ومبتكرا. 4

وتتجلى براعة الخيال في قدرة الفنان المبدع على تجسيم المعنويات ، وتلك القدرة تجعله يخلع الأحاسيس والانفعالات الإنسانية على الجمادات والأشياء غير العاقلة ، وإذا كانت أهمية الخيال تعد إحدى العناصر المهمة في العمل الأدبي ، فإنه قد استمد تلك الأهمية من علاقته بالعاطفة من جهة

[1] الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية ، بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط 4 ، 1985 ، ص 251.
[2] عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 173.
[3] العقد الثمين : ص 104، 105.
[4] د. الطاهر احمد مكى : الشعر العربى المعاصر روائعه ومدخل لقرائته ، مكتبة المتنبى ، ط 9 ، 1432 هـ ، 2011 م ، ص 17 .

ومن نوع الخيال فهو: " بسيط ، عميق ، موح ، مبدع ، خلاق ".....ففي هذا البيت يتكئ الشاعر على التجسيد لما فيه من " القدرة على التكثيف والاقتصاد والإيجاز "1

فالشاعر " يلجأ إلى الصور التي تجسم المعاني وتنقلها إلى درجة أرقي؛ لتزداد قوة وجمالا ، فهو يلجأ إلى صور التشبيه والاستعارة والكناية أو المبالغة أو التخييل "2، وقد تأثرت تلك الصور بسعة خيال الشاعر ، وقدرته على استيعاب الأشياء من حوله ، وانتزاع أوجه الشبه بين المتشابهات، ويتطلب ذلك إحساساً مرهفا وإدراكا دقيقا لجمإلىات الموصوفات ،ويقودنا إلى ذلك قول ابن عثيمين :

ولمـــا رأوا منـــك الصـــرامة أدبـــروا يظنون رحب الأرض حلقـــة خـــاتم 3

فقد أراد الشاعر وصف الممدوح بالقوة والصرامة والشجاعة ؛ فوصف حالة أعدائه عندما رأوه ، فقدم خوف الأعداء على صفات الممدوح؛ ليرسم صورة خيإلىة مبدعة عن حالة الخوف والهلع الذي أصاب الأعداء وهى كناية عن مهابة الممدوح وشجاعته .

المبحث الثاني

الخيال و قصيدة المدح

تتكون القصيدة العربية من مجموعة " من الأبيات تلتزم وزناً شعرياً واحداً وقافية واحدة"4 ، وهذا ما جاءت عليه قصائد شاعرنا ، فقد جاءت قصيدة المدح لديه مفعمة بالحماسة والجدة ، وملتهبة بعواطف الحب والفرح ، وقد اتخذ ابن عثيمين من الملك عبد العزيز رحمة الله عليه رمزاً للكفاح، ومظهراً من مظاهر الشجاعة ، فالمعارك التي خاضها والانتصارات التي حققها جعلته يستحق هذا التقدير والاحترام من شعبه ، ومن الشعراء والأدباء .

[1] مصطفى ناصف الصورة الأدبية : ص 136.
[2] محمد حسن عبد الله : الصورة والبناء الشعري ، ص 10 .
[3] العقد الثمين : ص 295.
[4] د. نايف معروف ود. عمر الأسعد : علم العروض التطبيقي ، دار النفائس ، ط1 1987م ، ص 13.

ويعد بيت الشعر هو "وحدة القصيدة ، في مبناها لا في معناها. فالقصيدة قد تدور كلها حول معني واحد ، كما هو الحال في أكثر الشعر الحديث، أو تتناول موضوعات شتى ، كما يظهر في أكثر الشعر الجاهلي "1 ،وقد تعمد الشاعر في الكثير من أشعاره تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة كقصيدة المدح مثلاً .

ويعد الشاعر ابن عثيمين من الشعراء الذين أخذوا على عاتقهم إحياء التراث، والنهوض به من حالة الجمود إلى التطور ، وقد مثل شعره تيارًا جديدًا فنيًا ميزه عن غيره من شعراء عصره وبيئته ، وفى اتخاذ الشاعر غرض المديح ودمجه بالتراث والبيئة والتاريخ أثرٌ كبيرٌ في تميزه وتفرده .

ومما لا شك فيه أن الخيال يؤدي دوراً مهماً في قصيدة المدح عند ابن عثيمين ،وقد علت القيمة الفنية لهذه الصورة في إبراز التعبير الشعري لدى الشاعر ولاسيما في قصيدة المدح ، حيث كانت هى الوسيلة التي يتكئ عليها الشاعر، وتعد إحدى أبرز مقومات العمل الفني لديه، بالإضافة إلى الأفكار والعاطفة والأسلوب .

وقد أولى الشاعر بالعناية والاهتمام بل والغناء ببطولات الملك عبد العزيز (رحمه الله) وأمجاده ، ومن تلك اللحمة التى ربطت بين ابن عثيمن والملك نستطيع أن نؤكد قول د. الطاهر مكى : إن الشاعر " يكتشف موضوعه حين يحرك روحه حدث خارجى أو انفعال داخلي يقع على شخصه أو يمس الذين حوله، ويحس بالرغبة في إعطاء هذا الشعور شكلا خارجياً"2 ، وقد أسهم تميزه أيضا " بحسن الديباجة ، وقوة السبك ، وتخير الألفاظ ، وابتكار المعاني ، وجودة التصوير ، وخصوبة الخيال "3 ؛ لعنايته بالتفاصيل في قوله :

[1] د. نايف معروف ود. عمر الأسعد : علم العروض التطبيقى ، دار النفائس ، ط1 1987م ، ص 23.
[2] د. الطاهر أحمد مكى : الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته ، مكتبة المتنبى ، ط 9 ، 1432هـ ، 2011 م ، ص 18 .
[3] انظر : العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ، جمعه وحققه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد ، راجعه وصححه وأعد معجمه وفهارسه السيد أحمد أبو الفضل عوض الله ، دار الشبل ، الرياض ، 1420هـ، ط4 ، 17 .

عُجْ بِي على الرَّبْعِ حيثُ الرَّنْــدُ والبَــانُ وَإِنْ نَــــأَى عَنْــــهُ أَحْبَــــابٌ وَجِيــــرَان[1]

وقد يأتي ابن عثيمين ببعض الصور في مدحه فنجد " فيها الحياة وفيها الحركة ، فإذا أضاف لها الحوار استوت لها كل عناصر التخييل "2

ويعد الخيال" أقدم من الفكر عهداً بالإنسانية، وهو ظاهرة فطرية وعامل مهم من عوامل الإثارة الفنية ؛ لأنه عدة الأديب في تجسيم انفعالاته وتجسيد مشاعره في صورة جميلة تعبر عن الإحساس والشعور والاستجابة للأديب والتجاوب معه فيما عبر عنه "3وقد ظهر ذلك جليا في قول ابن عثيمين :

يحكى اشــتعال المواضــي فــي أكفهــم تــألق البــدر فــي وطفــاء مــدرار[4]

فقد وفق الشاعر في الجمع بين البيئة والمدح حيث يعتمد الخيال على تجارب المبدع الحيوية أو البيئة العقلية والجو النفسي للشاعر، وهذا ما نراه في أشعار ابن عثيمين في مدح الملك عبد العزيز حيث جنح الشاعر إلى ذكر فضائل الممدوح في أكثر من موقف بإيراد صفات متعددة للممدوح ، حيث ربطت الشاعر علاقة قوية بالممدوح .

فقوة وشجاعة وخبرة وسطوة الممدوح إذا ولى زمام الحكم ، وقد ظهر ذلك فيما جادت به قريحة الشاعر حين قال :

كَــــأنَّ زِحــــام الُمعتفــــين بِبابِــــه تزاحم مــن ترمــي الجمــار أصــابِعه[5]

[1] العقد الثمين : ص 47.
[2] د. بن عيسي باطاهر : أسالِيب الإقناع في القرآن الكريم ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط 1 ، 1427هـ ، 2006 م ، 77.
[3] الكلام بتصرف من عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 157،174.
[4] العقد الثمين : ص 306.
[5] العقد الثمين : ص 192.

وقد تجلت الحيوية في صور كفاح الممدوح وسعيه لتوحيد المملكة ، والتنقل سعيا وراء النصر والمجد ، وتحقيق المكانة التى ينالها أمام ملوك وعظماء العالم في وقته ، فهو يليق به الكفاح والنضال ، وقد أشاد بذلك ابن عثيمين فقال عنه :

أجيب حظَّك إذ ناداك معتزِماً بِالُمرهفـــات وجـــرد كَالســـراحينِ[1]

و قد يخرج الشاعر عن المألوف لدى القدماء في الخروج من ثوب عباءة " المقدمة الطللية إلا ما ندر والتمهيد إلى الغرض المقصود برفق ولين، والختام بالحمد والصلاة على النبى ﷺ ، في آخر قصائده، كذلك إسداء النصح والإرشاد للممدوح " [2].

وقد تناول العديد من الباحثين والنقاد دراسة المديح كأحد موضوعات الشعر الذى "هو أكثرها استبداداً به، إذا يبلغ مجموع قصائد المدح عنده تسع وثلاثون قصيدة ، وقد أشاد فيها بمناقب من مدحه من الملوك والأمراء"[3] وكان للملك عبد العزيز النصيب الأكبر من هذه القصائد ، حيث اعتمد على **الدين** فهو " يمنحه الأدلة والبراهين على شرعية الممدوح وعدالته فيما يطبقه في السلم والحرب ، وفي تعامله مع شعبه وخصومه ، والمصدر الأدبي يمده بثروة من الألفاظ والصور والسمات الخلقية والخُلقية ،.... ؛ إذ يعتبر شعره أحد مصادر القوة عند الحكام، حيث يضفى الشرعية ،و يسجل الحدث للتأريخ بشعره ".[4]

وقد أخذ ابن عثيمين على عاتقه مدح الملك عبد العزيز دون مقابل ، حيث " يرى أن من واجبه أن يرفع الشكر والثناء إلى من يستحق ، وأنه إذا سكت عن ذلك فقد قصر في واجبه،...فقد

[1] العقد الثمين : ص 183.
[2] حركات التجديد في الشعر السعودى المعاصر ، د. عثمان الصالح العلمى الصيوينع ، د. د، ط 1 ، 1987 ، الجزاء الأول ص 171 .
[3] انظر : مرحلة التقليد المتطور في الشعر السعودى الحديث في منطقة نجد 1157هـ- 1343هـ ، إبراهيم بن فوزان الفوزان، د.ن ، الرياض ، 1418هـ ، ط1 ، ص 209.
[4] السابق مرحلة التقليد المتطور في الشعر السعودى الحديث في منطقة نجد 1157هـ- 1343هـ ، إبراهيم بن فوزان الفوزان، ص 209.

عاش ابن عثيمين فقيراً ومات فقيراً "[1] وقد نرى الشاعر يعمد للخيال مع استخدام " شرح المفردات ثم التراكيب، مبيناً استعمالاتها في شعر الأقدمين وأوجه البلاغة فيها" [2]، وهو هنا فهو يسير على نهج القدماء ، ففى قوله :

عبدُ العزيز الـذي نالـتْ بـه شَـرفاً بنـو نـزارٍ، وعَـزَّتْ منـه قحطـانُ

مُقـدَّم فـي المعـالى ذكـرُهُ أبـداً كمـا يُقَـدَّم باسـم الله عـوانُ

ملْـكٌ تجسَّـد فـي أثنـاءِ بُرْدِتَـهِ غيـثٌ وليـثٌ وإعطـاءٌ وحرْمَـانُ [3]

يأتي الخيال في ثوب التشبيه حيث أبدع ابن عثيمين في الثناء على الممدوح ، حيث شبه الملك عبد العزيز في تقدم ذكره في كل الفضائل وكأنه كالبسملة التي تبتدأ بها كل الأمور كما علمنا ديننا واتباع لسنة حبيبنا محمد ﷺ " فشأن الملك كشأن البسملة ، ووجه الشبه هو المعنى العقلى في البدء والشرف والتقديم ، وفى تقيده بلفظ عنوان ، مناسبة هنا لمقام الصورة ، فالملك كالبسملة التى تتقدم العناوين التى من شأنها أن تبين لنا ما يأتى بعدها " [4]، وهكذا فقد أدَّى الخيال دورا في تغيير صورة المدح لدى الشاعر ، والخيال "خير وسيلة لوصف الطبيعة وصفاً أديباً رائعاً لقدرته على إدراك جمالها ، وتفسير مظاهرها والنفاذ إلى أعماقها"[5]، وهذا ما وجدناه فى مدح ابن عثيمين السابق .

والصور الشعرية عند ابن عثيمين لا تختلف في مجملها عن الصور الشعرية في شعر القدماء ، والبناء الهيكلي للقصيدة لديه مماثل للقدماء ولكن " إن كان مقلدا لأولئك السابقين فإن تقليده هذا كان من باب التجديد ، ومن هنا يعد ابن عثيمين المجدد الأول للشعر العربي في جزيرة العرب ، شأنه كشأن محمود

[1] الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية ، بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط 4 ، 1985 ، ص 241.
[2] انظر : في الأدب العربي السعودي ، وفنونه واتجاهاته ونماذج منه ، د. محمد صالح الشنطى ، دار الأندلس ، حائل ، 1997م ، ط2 ص 83 .
[3] العقد الثمين : 77.
[4] الصورة البيانية في العقد الثمين في شعر محمد بن عثيمين ، رسالة ماجستير ،كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، جميلة بنت سعيد بن على القحطانى ، 1433هـ ، ص 33.
[5] حسن جاد حسن : على هامش النقد الأدبى ، ص 42.

سامى البارودي في مصر " ، ونراه تارة يختتم قصائده "[1] بالنصح أو الإرشاد أو الفخر أو بالدعاء أو بالحكمة وما إلى ذلك مما يحسن الختام به " وقد نلحظ كثرة الاعتماد على الاستعارات في ديوان الشاعر ولاسيما فيما يخص المدح ، والأسلوب البليغ في معظم الصور التي لا تخرج عن صورة التشبيه القديم في تشبيه الممدوح بالليث في الإقدام والشجاعة والغيث في الكريم ، والحرص على تقريب الصور باستخدام الأطراف الحسية الأقرب لتصور العقل ،و يعتمد على الصور البصرية و يحذف أحياناً وجه الشبه ليدفع القارئ للتأمل والتخيل ، وقد أثارت البيئة بمفرداتها حفيظة الشاعر، فعمد إلى مفردات البيئة والحرب والصورة المتحركة والصامتة، ونراه يعمد أحياناً إلى الاقتباس من القرآن الكريم ، ويحسن المطابقة بين المشبه والمشبه به لتكتمل الصورة في ذهن المتلقي .

والشاعر المثقف ذو الشخصية الواضحة قد اعتمد في مادته التي يتركب منها الخيال على عناصر متعددة، أهمها : **الحرب** وما يتصل بها من مفردات تتعلق بالطبيعة والقتال والفتك والصراع والحوادث ....حيث يقول في تهنئة الملك عبد العزيز بفتح الأحساء :

العــز والّمجــد فــي العنديــة القُضــبِ لا فـــي الرســـائلِ والتنميـــق للخطـــبِ

تقضي المواضي فمضي حكمهــا أممــاً إن خـــالَج الشـــك رأي الحـــاذق الأربِ[2]

وفى موضع آخر نرى ابن عثيمين يجمع في الخيال بين المدح و مفردات الحرب ، في موضع المدح بقوله :

بــين العلــى والقنــا والمشــرفى نســب وصدق عزم الفتى فــي ذلــك الســبب[3]

[1] انظر : الشاعر الكبير محمد بن عثيمين شعره ونثره، محمد بن سعد الرويشد ، دار عبد العزيز آل حسين ، الرياض 1412هـ ، ط 1 ، ص 115، 116، 117.
[2] العقد الثمين : ص 37.
[3] العقد الثمين 133.

يصور الشاعر البيئة في هذا البيت ، وهى لمحة من الصورة القديمة التى حرص الشعراء القدماء على تداولها، وهى صورة حسية ، متحركة تنبض بالحياة ، وتجمع بين الصورة البصرية والسمعية، وتجمع أيضا بين مفردات القتال وغاية المديح .

ويستمر ابن عثيمين في إكمال خواطره وانفعالاته الجياشة ليصف لنا حال مجتمعه، حيث يقوم " بإيراد الصور ، وتخير التشبيهات ، إلى درجة أننا لو نسبنا هذه القصيدة إلى شاعر أموي ، أو عباسي لكان فيها كثير من الدلائل على تلك النسبة "[1]، وإذا كان السبيل للتعبير عن العاطفة والخيال فنراه يقصد "وضوح الصور، المفرد منها والمركب ، ومن حسن انتقاء الاستعارات التي تعطى صورا بديعة "[2]، وجاءت الصور متتابعة في قوله :

عبـــد العزيـــزِ الـــذى ذلـــت لســـطوته شوس الجَبَابِرة من عجمٍ ومـــن عـــربِ

لَيـــثُ اللُيـــوث أخـــو الَهيجـــاءِ مســـعرها السيد الُمنجِب ابـــن الســـادة النجـــبِ[3]

فهنا عقد الشاعر العديد من الصور معتمداً على الخيال في تشبيه الملك عبد العزيز بليث الليوث ؛ إذ الأسد هو مثال الشجاعة وكذلك فإن " صور الوحوش ترتبط بالرجل "[4] والخيال هنا اعتمد على الصور المستوحاة من البيئة ، فهو " يوهم باتحاد المشبه بالمشبه به وعدم تفاضلهما ؛ أي أن عبد العزيز يعلو إلى مستوي المشبه به ، ويسمى هذا التشبيه المؤكد ،... إنه الملك عبد العزيز الذي أخضع الجبابرة من عرب ومن عجم ، فهو أشجع الشجعان وأسد الأسود ومضرم نيران الحروب "[5] ونرى للتشخيص دوراً مهماً في الاستعارة المكنية في قوله : " أخو الهيجاء " و " مسعرها " ، حيث سيطر الخيال على الشاعر فجعله يشبه الحرب بالنار ، وجاء بالإسعار وهو الإشعال لتكتمل الصورة .

[1] الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية ، بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط 4 ، 1985 ، ص 431،432.
[2] قراءة في ديوان الشاعر محمد بن عبد بن عثيمين ، عبد العزيز بن عبد الله الخويطر ، دارة الملك عبدب العزيز ، الرياض ، 1412 هـ ، ط 1 ، ص271.
[3] العقد الثمين : ص 38،39.
[4] انظر : الصورة الفنية في الشعر الجاهلى : د. نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، 1403هـ ، ط 2 ، ص 88.
[5] الصورة البيانية في العقد الثمين في شعر محمد بن عثيمين ، رسالة ماجستير ،كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، جميلة بنت سعيد بن علي القحطاني ، 1433هـ ، ص 32.

وفى موضع آخر نرى الخيال يجمع بين المدح و مفردات الطبيعة في صورة مركبة في قول ابن عثيمين :

إذا نـــازلوا كـــانوا لُيوثـــاً عوابِســـاً وإن نزلـــوا كـــانوا بحـــوراً تـــدفق[1]

حيث يعود ابن عثيمين مرة أخري لوصف وتشبيه الملك وأتباعه في خوضهم المعارك بالليوث، وهى كناية تدل على القوة والشجاعة ، وقد جمع ابن عثيمين بين مفردات البيئة والاقتباس من القرآن الكريم في قوله ﷻ : " إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً "[2] ثم أضاف بعداً دلإلياً آخر في استخدام لفظة التدفق والبحور مما يدفع المتلقي إلى الدخول في حالة من تخيل الصورة التي تعمد إلى التشبيه الحسى " ووجه الشبه في الصورة الأولى هو القوة والشجاعة ، وفى الصورة الثانية هو الجمود والسعة ، وكان الجامع في الصورتين عقلياً "[3] ، بالإضافة إلى الجناس الناقص بين " نازلوا – نزلوا " الذى أعلى من الإيقاع الموسيقى الناجم عن الجرس الداخلي .

والصورة الخيإلية " هي المجهر الذي يعكس لنا نفسية الأديب وهى المشعل الذي يلهب نفسية السامع، ويحرك أحاسيسه ، ويثير انفعاله ؛ فالخيال في الحقيقة مظهر العاطفة والإطار الذي يحدد قيمتها وعمقها "[4]وقد عبر عن ذلك ابن عثيمين بقوله :

لُيـــوث إذا لاقـــوا بـــدور إذا انتـــدوا غُيـــوث إذا أعطـــوا جبـــالُ لمحـــتمِ[5]

[1] العقد الثمين : ص 122.
[2] سورة الإنسان أية : 10 .
[3] الصورة البيانية في العقد الثمين في شعر محمد بن عثيمين ، رسالة ماجستير ،كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، جميلة بنت سعيد بن على القحطانى ، 1433هـ ، ص 35.
[4] عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التأليف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 176.
[5] العقد الثمين : ص 280.

و هنا يمدح ابن عثيمين قومه ويشبههم بالليوث ، وأيضا شبههم بالبدور، وهذا يعد إطراء على قومه وارتفاع منزلتهم ، وقد يعمد الشاعر إلى توظيف الخيال وذلك بـــ" تشخيص المعاني وتوافر الاستعارات " [1] كقوله :

لكنه الأَسد الضرغام إن ضبثَت كَفّاه بِالضــد أَضــحى الليــث كالنقــد[2]

وقد يعمد ابن عثيمين إلى توظيف الخيال وذلك بـــ" تشخيص المعاني من خلال تتابع الاستعارات " [3]وقد يكون للخيال أثر في اكتمال الحدث لدى المتلقي ، ففي قول ابن عثيمين في مدح الملك عبد العزيز:

بجيش بغيــب الشــمس عثيــر خيلــه ويحمــد بعــد اللقــا الــذئب والنســر

كَــأنَّ اشــتعالَ البــيضِ فــي جنباتــه سنا البرق والرعد الَهمــاهم والزجــر[4]

يدمج ابن عثيمين الخيال بالبيئة في صورة متحركة لخدمة المدح ، فالشمس ، والغبار ، والبرق ، وصوت السيوف ، تشكل صورة بصرية ، يسندها تعبير الشاعر عن اشتعال السيوف التى تشبه سنا البرق ،أما جمعه بين البرق والرعد والهماهم والزجر ما يلبس الأسلوب شكلا من أشكال القوة والبطش والهيبة .

ويسهب ابن عثيمين في سرد أبيات المدح التي جعلها مدخلاً للغرض الرئيس من القصيدة ، وهو ذكر ملامح شخصية الملك عبد العزيز رحمه الله ، ويصفه بأنه قد دانت له القبائل العربية لعزمه وهمته وكرمه وشجاعته و قوة جيشه، وهنا نلاحظ أن " الوصف يعتمد في جماله على صدق العاطفة وحرارتها " [5] كما يظهر هنا من عاطفة قوة تربط الشاعر بالممدوح.

---

[1] انيس المقدسي : تطور الأسالِيب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، ط 9 ، 1998م ، 292.
[2] العقد الثمين : ص 204.
[3] انيس المقدسي : تطور الأسالِيب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، ط 9 ، 1998م ، 292.
[4] العقد الثمين: ص153.
[5] د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف بمصر ، ط 6 ، 2004 ، ص 86.

فالشاعر أعمل الخيال ليخرج لنا صوراً مركبة ، الأولى تعتمد على تشبيه حال اشتعال السيوف بحال البرق والثانية تعتمدعلى تشبيه حال أصوات الأبطال بصوت الرعد ، والصورة الثالثة التي تعتمد على الاستعارة ، حيث تنتقل العبارة من مستواها العادي إلى مستوى أعلى تميزا .

في هذا البيت لا ننكر صدق العاطفة التي طغت على الشاعر، فجعلته يخلع على الملك صفات تبتعد عن المبالغة والتصنع ، فقد استطاع رسم الواقع بصورة وخيال مبدع ، حيث قال :

وأنت كالغيث يعلو كـل رابيـة ويستقر لنفـع النـاس فـي السـهل [1]

ونلاحظ في البيت السابق وغيره من الأبيات السابقة مدي إغراق ابن عثيمين في الخيال مع ممدوحيه ، حيث يرسم بالصور المتكررة عن كرم وشجاعة الممدوح لوحات مبدعة ، ويقول :

بحـر مـن العلـمِ قَـد فاضـت جداولِـه لكنه سائغٌ فـي ذَوق مـن طَعمـا[2]

فهنا شبه ابن عثيمين الممدوح بالبحر ، وهى من الصور القديمة في وصف الممدوح التي تتناسب مع الكرم والسخاء ، وقد ورد التشبيه عند ابن عثيمين بصور شتى ، قد يكون للمبالغة أو الإيضاح أو للإيجاز ، وفي البيت التإلى يجيء لإيضاح الصورة . وهو قوله :

الله أعلى سعوداً في سعادته فَكانَ أشهر من نارٍ على علمِ[3]

فابن عثيمين له " معان واضحة لا تكلف فيها ولا بعد سواء حين يتكلم عن أحاسيسه أو حين يصور ممدوحه؛ فيسكب على وصفه من خياله ما يحيله عن حقيقته "4 ويظهر هذا جليا عندما وجه مناصحة ولى الأمر إلى الملك الفاتح:

يـا أيهـا الملـك الميمـون طـائره اسـمع هـديت مقـال الناصـح الحـدب

[1] العقد الثمين : ص 324.
[2] العقد الثمين : ص 470.
[3] العقد الثمين : ص 352.
[4] د. شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى ، العصر الجاهلى ، دار المعارف مصر ، ط 39 ، 2016 م ، 219، 220 .

اجعـــل مشـــيرك فـــي أمـــر تحاولـــه مهـــــذب الـــــرأي ذا علـــــم وذا أدب

وقـــدم الشـــرع ثـــم الســـيف إنهمـــا قوام ذا الخلـــق فـــي بـــدء وفـــى عقـــب

ويقول أيضا :

لكـــم ذائـــد عـــنكُم بســـيف ومنصـــلٍ ورأيٍ كَمصـــــقولِ الجُـــــرازِ الُمصـــــممِ [1]

فالشاعر هنا عمد لاستخدام " أدوات القتال مثلما هو الحال في الشعر القديم ، فهي لا تتعدي السيف والقنا . فأسلوب المدح هنا لا يختلف في كثير أو قليل عن أسلوب القدماء "[2]، وقد جمع بين المدح ومفردات القتال ، كما سبق وأشار سابقاً.

يعمد ابن عثيمين في الابيات السابقة إلى المجاز ، لأنه " أبلغ من الحقيقة لما فيه من خيال وجمال تصوير "3 ، وقد استخدم هنا الصور البيانية المركبة التي تجذب انتباه المتلقي ، فالصور الحسية جاءت في تشبيه هيئة الدفاع بالسيوف والرأي السديد بهيئة السيف المصقول في قطعه السريع ومضيه ، فالصور مستوحاة من البيئة وأدوات الحرب ، ونرى مدى قدرة الشاعر اللغوية في معرفته باللغة ومترادفات الكلمات.

ويقول مادحاً رائحة الروض :

ثناء كنشـــر الـــروض راوحـــه النـــدي وغـــاداه معلـــول الصـــبا المتنســـم [4]

وهكذا يكون الشاعر قد ضمن صفات الممدوح في العديد من الدلالات السابقة والصور الخيالية المركزة في قصائد المدح ، ولعل القاسم المشترك في قصائد المدح هو شخصية الملك عبد

[1] العقد الثمين : ص 287.
[2] د. إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ،دار المسرة ، ط 3 ، 2010 م، ص 58 .
[3] د. سعد احمد الحاوي : الشعر الحر قضاياه ومقوماته اللغوية والفنية ، دار الفكر العربي ، ط 1 ، 1430هـ ، 2010 م ، ص 97.
[4] العقد الثمين : ص 414 .

العزيز رحمه الله ، فبين النفس الشامخة والشخصية القوية نبضت صور الشاعر ابن عثيمين ممتزجه بجودة التصوير وصدق العاطفة وبراعة الخيال .

وهنا تكمن قوة الشعر وسحره في براعة الشاعر في مزج علاقات تركيبية بخياله بين أشياء متوقعة وأشياء غير متوقعة ، أو أشياء حسية وأخري معنوية، حيث يعمل الخيال على صهر الاحساس الجديد بالأحاسيس القديمة المخزونة لدى الشاعر ، والتى تظهر في شكل تركيب جديد نابض بالحياة والحركة والألوان ، ويداعب مشاعر المتلقى ، ويذهب بها كل مذهب .

الخاتمة :

الحمد لله أولاً وآخراً – أن سدد ووفق– وها هو بحث " الخيال وأثره في تشكيل الصورة لدى ابن عثيمين قصيدة المدح أنموذجا" قد أثمر ثمره وأخصب خصبه ، وخلص في ختامه إلى النتائج والتوصيات الآتية :

- شعر ابن عثيمين برهان على تمكنه من الشعر القديم لفظا ومعنى .
- ارتقى ابن عثيمين بالخيال من خلال قصيدة المدح مما جعله في مصاف عظماء الشعراء العرب عامة، والشعراء السعوديين خاصة .
- اعتمد ابن عثيمين في سياق المدح الأسإليب البلاغية من استعارة وتشبيه وكناية ومجاز ، وعبر عن المدح بالصورة الخيإلية التي يميل إليها القدماء.
- زاوج ابن عثيمين بين التراث والبيئة ، ليرسم بالخيال ملامح شخصية الممدوح بين الصفات المعنوية والحسية .
- أبدع ابن عثيمين في تهذيب أسلوب المدح مستندا على الخيال أداة للتعبير .
- شغل الخيال مساحة كبيرة في قصيدة المدح ، فكان أوفر حظا بشتى صوره ومختلف أدواته .
- لم يكن الخيال حصرا على قصيدة المدح فقط، وإنما شاركت أغراض أخرى ابن عثيمين في التعبير به ؛ مما يؤكد نفاذ قريحة الشاعر وعلو منزلته الشعرية .

- صفات الملك عبد العزيز ومآثره جاءت إحدى روافد الشاعر التي شحذت قصيدة الخيال لديه.

التوصيات:

استنادًا إلى ما دُرسَ في هذا البحث، وعلى ضوء نتائجه، توصي الباحثة بالآتي:

- التوجيه بالبحث حول الشاعر لتعظيم الإفادة من فنّه ؛ كونه رافداً مهماً من أعلام الأدب السعودي.
- قصيدة المديح من الأغراض التي تعبر عن الفضائل الإنسانية ودراستها جديرة بالاهتمام .
- حث الباحثين بالسير قدما في طريق البحث حول الأدب السعودي نثرا وشعرا؛ للارتقاء به وتقديم ما لم يجد طريقه للبحث .

مصادر البحث ومراجعه:

1. إبراهيم بن فوزان الفوزان : مرحلة التقليد المتطور في الشعر السعودى الحديث في منطقة نجد 1157هـ- 1343هـ ، د.ن ، الرياض ، 1418هـ ، ط1 .
2. أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل ، الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق على محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، دط.
3. أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، مكتبة نهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، ط 10 ، 1999م.
4. أنيس المقدسي : تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، ط 9 ، 1998م.
5. بكري شيخ أمين: الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط 4 ، 1985.
6. جميلة بنت سعيد بن على القحطاني : الصورة البيانية في العقد الثمين في شعر محمد بن عثيمين ، رسالة ماجستير ،كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1433هـ.
7. حسن جاد حسن : على هامش النقد الأدبي ، 1978م ، د ط .
8. خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج السابع ، ص 124 ، د. ت ، ط. 3 .

9. د. إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، دار المسيرة ، عمان ، ط 3 ، 1430 ه ، 2010 م.
10. د. الطاهر أحمد مكى : الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته ، مكتبة المتنبي ، ط 9 ، 1432هـ ، 2011 م .
11. د. أمال يوسف سيد يوسف : علم الأسلوب ، مكتبة المتنبي ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، د. ط .
12. د. بن عيسي با طاهر : أسإلىب الإقناع في القرآن الكريم ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط 1 ، 1427هـ ، 2006 م.
13. د. سعد احمد الحاوي : الشعر الحر قضاياه ومقوماته اللغوية والفنية ، دار الفكر العربي ، ط 1 ، 1430هـ ، 2010 م.
14. د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف بمصر ، ط 6 ، 2004 .
15. د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف مصر ، ط 39 ، 2016 م.
16. د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 17.
17. د. صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1992م.
18. د. عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التإلىف ، مصر 1967، 1968 ، ط1.
19. د. عثمان الصالح العلمي الصيوينع :حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، د. د، ط 1 ، 1987 ، الجزاء الأول .
20. د. على على مصطفى صبح ، المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية ، تهامة ، ط1 ، 1404ه، 1984م .
21. د. محمد أحمد الدوغان وآخرون ، مكتبة المتنبي، الدمام ، 1438ه، 2017م .

22.د. محمد صالح الشنطي : في الأدب العربي السعودي "فنونه واتجاهاته ونماذج منه "، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ط2، 1418-1997م .

23.د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1997م .

24.د. محمد مندور : الأدب ومذاهبه ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 9 ، 2010م.

25.د. نايف معروف ود. عمر الأسعد : علم العروض التطبيقي ، دار النفائس ، ط1 1987م .

26.د. نصرت عبد الرحمن : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، 1403هـ ، ط 2 .

27.دارة الملك عبد العزيز : قاموس الأدب والادباء في المملكة العربية السعودية ، الجزء الأول أ- ر ، الرياض ، 1435 ه ، المجلد 3 .

28.ديوان أبى تمام ، شرح وتعليق الدكتور شاهين عطية ، مراجعة بولس الموصلي ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، اللعازارية ، بيروت ، ط 1 ن 1986 م .

29.عبد الرحمن شعيب : في النقد الأدبي الحديث ، مطبعة التإلىف ، مصر 1967، 1968 ، ط1، ص 88.

30.عبد العزيز بن عبد الله الخويطر : قراءة في ديوان الشاعر محمد بن عبد بن عثيمين ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، 1412 هـ ، ط 1 .

31.عبد العزيز الفريح : ابن عثيمين رائد الشعر الحديث في نجد، رسالة دكتوراه غي منشوره، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1379هـ/1977م.

32.العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ، جمعه وحققه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد ، راجعه وصححه وأعد معجمه وفهارسه السيد أحمد أبو الفضل عوض الله ، دار الشبل ، الرياض ، ط 4 ، 1420هـ.

33.على بن محمد السيد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ، قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والعروض والبلاغة ، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة .

34. على بن محمد السيد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ،قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة ،تحقيق ودراسة : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، 2004م .
35. محمد الجزار : الفكر الإنساني مركز الكتاب للنشر ، ط1 ، 1426هـ 2006م.
36. محمد الصادق عفيفي ، النقد التطبيقي والموازنات ، مؤسسة الخانجي القاهرة ، 1398هـ ، 1978م .
37. محمد بن سعد بن حسين : الأدب الحديث في نجد ، تحقيق وتعليق عبد السلام سرحان ، د. ت ، مطبعة الفجالة ، مصر ، ط1 .
38. محمود محمد بركات : دراسة في المضمون والشكل، دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، 1405هـ ، 1985م.
39. المعجم الوسيط : تأليف العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي "المتوفى سنة 817هـ " تحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ،ط6، 1989م.